سياسة المأمون تجاه العلويين

٨١٤/١٩٨ - ٨٣٣/٢١٨

الدكتور فاروق عمر فوزي
كلية الاداب

القسم الاول - الثورات العلوية في عهد المأمون

توطئة :

لم تكن الثورة العباسية ثورة الفرس على الحكم العربي ولم تقم على اكتاف الفرس فهذه دعاية وجهتها لها العناصر المعادية في وقتها ورددها المستشرق فان تلوتن وولها وزن وثم اكدها مؤرخون عرب آخرون ، على أن الثورة العباسية في حقيقتها كانت اعمق من ذلك بكثير وانها قامت بها العناصر العربية في خراسان وهدفها محو اخطاء السياسة الاموية التي شملت العرب وغير العرب[1] .

ان الثورة العباسية كأي ثورة ضد الامويين رفعت شعارات عامة متنوعة لجذب أكبر عدد من المتذمرين من الحكم الاوي . وبعد نجاحها تبنيت طبيعتها وهدفها الذي كان يرمي الى اقامة خلافة عباسية . وكان على الخلفاء العباسيين بطبيعة الحال أن يواجهوا المعارضين من علويين وخوارج وأمويين وفرس . والذي يهمنا في هذا البحث هي حركة المعارضة العلوية التي ظهرت بواكيرها ضد العباسيين مع بداية الدولة الجديدة وبلغت الذروة في عصر المنصور الذي أستطاع أن يقضي على أقوى ثورتين علويتين في عهده هما ثورة محمد النفس الزكية في الحجاز وابراهيم في البصرة[2] . ورغم أن حركة المعارضة العلوية لم تعد قوية وخطرة بعد عهد المنصور الا أن الثورات العلوية استمرت هنا وهناك .

لقد كان للظروف الصعبة التي مرت بها الخلافة العباسية أثناء الحرب الاهلية بين الامين والمأمون ١٩٣هـ - ١٩٨هـ / ٨٠٩م - ٨١٤م من انتشار الفوضى وعدم الاستقرار السياسي وانعدام السلطة . ان انتهزت العناصر المعارضة للعباسيين الفرصة ومنها الشيعة العلوية فقامت بثورات في اقاليم مختلفة في العراق والحجاز واليمن .. فلم يكد المأمون يتسلم السلطة حتى فوجيء بثورة ابي السرايا السري بن منصور الشيباني بالكوفة سنة ١٩٩هـ / ٨١٥م بأسم ابن طباطبا العلوي . وبعد نجاحه في الكوفة ارسل ابو السرايا جيوشا لاحتلال المدن الرئيسية فأرسل الحسين بن الافطس ومحمد بن سليمان الى الحجاز وأرسل ابراهيم بن موسى بن جعفر الى اليمن . ويشير الطبري الى «انتشار الطالبيين في البلاد »[1] مما يدل على النجاح الذي حققه ابو السرايا الذي كان يلعب دورا مباشرا أو غير مباشر في كل الثورات العلوية في الاقاليم الاخرى ايضا عدا العراق . ولعل سبب هذا النجاح يعود الى ملل أهل العراق من الاضطراب وعدم الاستقرار السياسي فأملوا ان حكما جديداً ربما يحقق لهم الاستقرار هذا من جهة ومن جهة ثانية فان أهل العراق كانوا ساخطين على المأمون الذي نقل مركزه الى خراسان وعلى سياسة الفضل بن سهل الميالة الى الفرس « واستبداده برأيه وغلبته على الخليفة »[2] ..

ثورة أبي السرايا :

لم يكن المأمون موفقا في اكرامه للاركان الاربعة التي حققت له النصر على الامين ، ففي الوقت الذي اغدق الامتيازات والمناصب على الفضل بن سهل وأخيه الحسين الذي أصبح واليا على العراق والشرق ، لم ينل القائدان طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين شيئا . فقد أمر طاهر بالتوجه الى الرقة والاستعداد لمجابهة ثورة نصر بن شبث العقيلي . اما هرثمة بن أعين فقد دعي للتوجه حالا الى خراسان . ان هذه الاجراءات كانت دون شك من بنات أفكار الفضل بن سهل (ذو الرئاستين) الذي كان يخشى اتساع نفوذ طاهر بن الحسين وكان يطمع أن يحل أخاه

الحسن محل طاهر في ولاية العراق التي احتلها طاهر بجيشه وكان يأمل أن يحكمه بنفسه .

على ان انتصار آل سهل على القائدين العسكريين كان له رد فعل من نوع اخر في العراق حيث فسره اهل العراق على اعتبار انه تأكيد لما يشاع من استبداد آل سهل وغلبتهم على المأمون الذى كان لا يزال في العشرينات من عمره فزاد في ثورة العراقيين الساخطين على آل سهل الذين نقلوا مركز الدولة الى مرو بدلا من بغداد . ولعل هذه الظروف هي التي فجرت ثورة ابي السرايا في الكوفة .

ان ثورة ابي السرايا السري الشيباني تذكرنا بثورة المختار الثقفي[٥] في الكوفة قبل اكثر من قرن وربع القرن فلقد ثار المختار بأسم محمد بن الحنفيه الذي لم يلعب دورا رئيسيا بالثورة بل كان شخصية معنوية وربما استغل المختار أسمه دون رضاه ، وكذلك كان أبو السرايا الزعيم الحقيقي لثورة الكوفة سنة ١٩٩هـ أما ابن طباطبا (محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي) فلم يلعب الا دورا ثانويا ومعنويا . ولم تكن ظاهرة الادعاء بالتشيع الى العلويين ظاهرة غريبة بل على العكس فان حركة المعارضة العلوية أصبحت الحركة البديلة والمقابلة للتشيع العباسي ، ذلك لان الجماعات المتنصرة التي خاب أملها بالحكم العباسي أخذت تنظر الى العلويين لتحقيق آمالها ومطامحها ، ولذلك نرى الكثير من المغامرين والثوار الذين رفعوا شعار الولاء للعلويين وذلك لكسب الاتباع دون ان يكون لهم في الحقيقة أي ميل أو عاطفة علوية .

ان رواية الاصفهاني[٦] خير دليل على هذه الظاهرة فهي تشير الى ان نصر بن شبث العقيلي اتصل في سنة ١٩٨هـ في الحج بابن طباطبا واتفق معه على الثورة في الجزيرة . ولكن نصر العقيلي فشل ان يقنع اتباعه في الجزيرة على الثورة من اجل القضية العلوية ذلك لان قبائل الجزيرة معروفة بميولها الخارجية أو الاموية ولم يعرف عنها تحمس لقضية آل البيت (الهاشميين)[٧] .

وقد عاد ابن طباطبا الى الحجاز وفي طريقه التقى بأبي السرايا في الرقة • ونحن لا نعرف الشيء الكثير عن شخصية ابي السرايا وسيرته ، ولاتذكر الروايات[٨] عنه الا انه من شيبان من الجزيرة ولم يكن من اشراف القوم بل تدرج حتى لمع اسمه حين التحق بجيش يزيد بن مزيد الشيباني الذي ارسل الى ارمينيا لحرب الخزمية • وفي الحرب الاهلية بين الامين والمأمون كان الى جانب الامين وحارب جيش هرثمة بن اعين الذي تقابل مع جيش أحمد بن يزيد بن مزيد الشيباني • ولكن ابا السرايا بدل رأيه وولائه وانحاز بحوالي ٢٠٠٠ من اتباعه الخيالة والمشاة الى جيش المأمون ومنح لقب « أمير » • وبعد انتهاء الحرب الاهلية واستدعاء هرثمة الى خراسان لم يحصل ابو السرايا على ماكان يطمح فيه من امتيازات فعاد الى حياة الغزو والنهب والتناحر القبلي فقد غزا مع الطوق بن مالك التغلبي بني قيس وسلبهم ، ثم التقى بالرقة بابن طباطبا فوجد فيه الرجل الذي يستطيع عن طريقه ان ينفس عن ميوله العلوية[٩] من جهة ونفسيته البدوية المتمردة من جهة اخرى ، وطموحه من جهة ثالثة •

وقد اتفق ابو السرايا مع ابن طباطبا على الالتقاء في ظاهر الكوفة واخذ الاول طريق البر فيما ركب الثاني سفينة عبر الفرات • وحين وصل ابو السرايا موقع كربلاء ارتجل خطبة مؤثرة خاطب فيها جنده واتباعه من الشيعة العلوية • وقد استطاع بعد ذلك كلا الزعيمين من احتلال الكوفة بسهولة بدون اراقة دماء ذلك لان الوالي العباسي سليمان بن المنصور وقائده خالد الضبي لم يحركا ساكنا بل لم يقاوما الثورة العلوية[١٠] • على ان المقاومة العباسية تجمعت حول شخصية الفضل بن العباس بن عيسى بن موسى الذي اعلن رفضه لبيعه ابن طباطبا ودافع عن نفسه من اتباعه ولكنه سرعان ما استسلم ونهب داره • لقد بايع الناس البيعة الى « الرضا من آل محمد •• والعمل بكتاب الله وسنة نبيه »[١١] • وحين سمع امير العراق الحسن بن سهل بالحركة العلوية أرسل لتوهه

زهير بن المسيب مع ١٠ آلاف من الجند وتقابل الطرفان في اواخر شهر جمادي الثاني وكان النصر في هذه المعركة للشيعة العلوية حيث تشتت جيش زهير بن المسيب الذي اضطر الى التراجع .

ان الحادثة التي تفاجيء المؤرخ بعد هذا الانتصار العلوي هو موت ابن طباطبا المفاجيء . ويختلف المؤرخون الرواد في عرضهم لهذه الحادثة على أن الطبري برواياته العديدة التي استقاها منه أغلب المؤرخون الآخرون يشير الى أن الموت كان غير متوقع وربما كا بسبب دس السم من قبل ابي السرايا الذي منعه ابن طباطبا من الاحتفاظ بالغنائم والاسلاب التي تركها الجند العباسي . ولكننا يجب ان نذكر بأن هناك روايات اخرى تظهر ابن طباطبا وكأنه مريضا منذ مدة وانه مات موتا طبيعيا وترك وصية داعيته ابي السرايا يرشح فيها علي بن عبدالله لرئاسة الحركة العلوية المسلحة[١٢] . ومهما يكن من امر فان ابا السرايا اعلن نبأ موت ابن طباطبا وترشيحه لعلي بن عبدالله ولكن عليا هذا رفض ان يزج نفسه في مغامرة سياسة مسلحة وكان معروفا بتقواه وبعده عن السياسة ، واقترح بيعة محمد بن محمد بن زيد الذي كان لايزال حدثا صغيرا وقد قبل ابو السرايا ومن معه بيعة محمد بن محمد قائلين لعلي بن عبدالله : « رضانا من رضاك وقولنا من قولك » . فكانت هذه البيعة في الاول من رجب سنة ١٩٩ هـ .

وقد اتسعت الثورة العلوية بسرعة واستطاع ابو السرايا ان يدحر قوة عباسية جديدة مكونة من ٤٠٠٠ خيال بقيادة عبدوس بن محمد بن ابي خالد المروزي ارسلت لتعزيز زهير بن المسيب الذي تراجع الى قصر ابن هبيرة . وقد ايدت الثورة الكثير من المدن والاقاليم ونشير الان الى الولاة الذين ارسلوا الى المناطق التي انضمت للعلويين :

العباس بن محمد بن عيسى بن محمد ... بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب عين واليا على البصرة زيد بن علي والحسن بن ابراهيم بن الحسن بن علي على واسط[١٣] .

وفي شعبان يمكننا ان ندرك بأن الثورة وصلت ذروة نجاحها حيث خضعت اقاليم كثيرة وارسلت اقاليم اخرى تعلن ولائها وتدعو ابا السرايا لأرسال ولاته • وقد امتد نفوذ أبي السرايا الى نهر الملك وهو لايبعد عن بغداد الا اميالاً قليلة • كان موقف والي العراق الحسن بن سهل صعباً فلم يكن لديه من القادة غير قريبه علي بن ابي سعيد (ذي العلمين) الذي لم يستطع ان يعمل شيئاً تجاه تعاظم الثورة العلوية ، ان هذه الظروف الحرجة[١٤] اجبرت الحسن بن سهل ان يفكر مرة ثانية بطاهر بن الحسين وهرثمة بن اعين القائدين اللذين حققا النصر للمأمون في الحرب الاهلية • وقد كتب الحسن اول الامر الى طاهر ثم بدل رأيه واستدعى هرثمة بن اعين الذي كان في طريقه الى خراسان كما امره بذلك الخليفة المأمون • وقد ارسل الحسن بن سهل السندي بن شاهك الى هرثمة يتوسل اليه بالعودة الى العراق لمعالجة الوضع الخطير هناك • على انهرثمة رفض اول الأمر العودة[١٥] ثم غير رأيه وقرر العودة للقضاء على الثورة[١٦] •

ولم يمض وقت طويل حتى واجه ابو السرايا جيشان عباسيان الاول بقيادة هرثمة والمنصور بن المهدي والثاني بقيادة علي بن أبي سعيد • وقد انقذت المعركة الاولى بغداد حيث اضطر ابو السرايا الى الانسحاب من المدائن الى قصر ابن هبيرة وهناك استطاع هرثمة ان يهزمه الهزيمة الثانية واضطره الى الانسحاب بسرعة الى الكوفة • وفي الكوفة عزز العلويون مراكزهم واستعدوا لمقاومة عنيفة • ورغم ان هرثمة بن اعين حاول جاهدا القضاء على المقاومة في الكوفة قبل حلول موسم الحج لكي يستطيع اداء الفريضة[١٧] الا ان الكوفيين لم يمكنوه من ذلك • وفي الاول من ذي القعدة وقعت معركة دموية حاسمة ولكن النصر لم يكتب للعباسيين بقوة السلاح وانما بالمرونة والسياسية والحيلة التي دبرها هرثمة بن اعين• ويشير الاصفهاني[١٨] الى ان هرثمة استطاع ان يقنع اشراف الكوفة بانهاء الحرب والتخلي عن ابي السرايا وخذلانه ، وعبثا حاول ابو السرايا ان

ينبههم الى حيلة هرثمة وسوء نيته مما اضطره الى مهاجمتهم واتهامهم بقتل الامام علي (رض) وخذلان الحسين (رض) وجبنهم في ساعة الصفر امام (المسودة) العباسيين ، ولكن الكوفيين الذين انهكتهم الحرب التي دامت اشهرا عديدة لم يستجيبوا لنداءات ابي السرايا • وهكذا خذل الكوفيون ابا السرايا كما خذلوا المختار قبله •

وفي الليلة التالية اضطر ابو السرايا ومحمد بن محمد بن زيد وغيره من العلويين وحوالي ٨٠٠ من الشيعة العلوية الخيالة الى ترك الكوفة التي فتحت ابوابها الى هرثمة ، حيث دخلها الجند العباسي دون اراقة دماء وعين غسان بن ابي فرج واليا على الكوفة •

أما ابو السرايا ومن هرب معه فقد توجهوا الى واسط بعد مرورهم بالقادسية ، على ان واسط وقعت مرة ثانية في ايدي الجيش العباسي بقيادة علي بن ابي سعيد مما اضطر ابو السرايا ومن معه الى اخذ طريق البصرة حيث عبروا نهر دجلة جنوبي مدينة واسط • وكان ابو السرايا يتجنب المخاطر والهجمات من القبائل التي يمر بها بتوزيع الاموال عليها وحين وصل الاهواز انذره الوالي العباسي الحسن بن علي البادغيسي بترك الاقليم اذا اراد السلامة وحين حاول ابو السرايا المقاومة هوجم وجرح ولم يستطع السيطرة على تماسك اتباعه ولذلك قرر العودة الى موطنه الاصلي في رأس العين بالجزيرة ومعه محمد بن محمد بن زيد واتباعه ومواليه المخلصين ومنهم ابو الشوك •

وفي طريقهم الى الجزيرة وقعوا اسرى في جلولاء بيد القائد حماد الذي كان في جلولاء مع ثلة من الجند فأرسلهم بدوره الى الحسن بن سهل • وقد ارسل الحسن محمدا بن محمد الى المأمون في خراسان الذي اعلن العفو عنه كما تقول بعض الروايات[٣٠] الا ان هناك روايات في (مقاتل الطالبيين) تشير الى ان العفو كان على الصعيد الرسمي فقط وان ما حدث لمحمد هو السجن ثم الموت سماً • اما مصير ابي السرايا فقد قتل في النهروان بأمر الحسن بن سهل وعلقت جثته على جسر بغداد وطيف برأسه في الاقاليم •

اما البصرة فقد استسلمت لعلي بن ابي سعيد القائد العباسي الذي اسر فيها زيد بن موسى بن جعفر الصادق ومعه جماعة من اهل بيته • وتشير رواية في الطبري ان زيداً هذا كان يلقب بزيد النار « لكثرة ما حرق بالبصرة من دور بني العباس واتباعهم وكان اذا أتي برجل من المسودة كانت عقوبته عنده ان يحرقه بالنار وانتهبوا بالبصرة اموالا »[٢١] •

وهكذا فقد انتهت الثورة العلوية في العراق في ظرف ثمانية او تسعة أشهر •

ثورة العلويين بالحجاز :

ومع ان الثورة العلوية في الحجاز مرتبطة بثورة ابي السرايا فى الكوفة الا ان لها خصائصها التي تميزها عن ثورة العراق وانها استمرت ولم تنته بانتهاء ثورة ابي السرايا • لم ينس ابو السرايا حين اشتدت حركته فى العراق ان يمد نفوذه الى الحجاز ، فرغم فقدان الحجاز لاهميته السياسية وضعف اهميته الاستراتيجية والاقتصادية فقد بقي هذا الاقليم ذو مركز ديني ومعنوي كبير وخاصة في موسم الحج حيث يستطيع ابو السرايا تنظيم حملة دعائية كبيرة لنفسه وللامام بين الحجاج الذين يمثلون الاقاليم الاسلامية المختلفة • لذلك فقد ارسل ابو السرايا محمداً بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي الي المدينة وأرسل الحسين بن الحسن الافطس بن على بن الحسين بن على الى مكة واشار اليه بأمره الحج الذي بات على الابواب[٢٢] •

اما والى الحجاز العباسي فكان داود بن عيسى بن موسى بن محمد الذي عين في الامارة منذ عهد الامين ولكنه استطاع في اللحظة المناسبة ان يبدل ولائه وارضى المأمون الذى ابقاه في الولاية • وحين سمع داود بن عيسى باقتراب الاتباع العلويين لم يستعد للحرب بل لم تكن له رغبة في المواجهة ربما بسبب ضعفه وتخاذله او لاحترامه لشهر الحج او لأسباب اخرى غير معروفة • وتشير رواية تاريخية بأن مسروراً حاجب الرشيد المشهور والذى كان في مكة ينوي الحج قد قابل الوالي العباسي وابدى استعداده مع اتباعه الذين يعدون بمائتي فارس لمجابهة الثوار العلويين

ولكن الوالي رفض الفكرة وغادر مكة الى العراق تاركاً ابنه في الولايـة وامارة الحج[٢٣] • ان الموقف الذي اتخذه الوالي العباسي قد خيّـب امال الشيعة العباسيين ومواليهم وعبيدهم الذين كانوا مستعدين للدفـاع عن المدينة المقدسة ، وقد اضطر مسرور الخادم الكبير الى ترك مكة مـع اتباعه بعد ان فقد الامل في جدوى المواجهة مع العلويين كما انه خـاف من انتفاض الشيعة العلوية في مكة عليه وعلى اتباعه بعد ان فقدت السلطة وهرب الوالي •

وفي اليوم الاول من عرفات (التاسع من ذي الحجة) وجد الحجاج انفسهم دون امام يقودهم ذلك لان قاضي مكة رفض ان يقوم بالعمل لئلا يتورط في ذكر اسم الامام او الخليفة في الخطبة • فالحجاز لم تكن قـد سقطت بعد في ايدي العلويين كما وان الوالي العباسي كان قد هرب منها ولعلنا نلاحظ هنا مدى تردد الحسين بن الافطس واتباعه من احتلال مكة حتى بعد هروب الوالي العباسي ، خوفا من وجود مقاومة مؤيدة للعباسين حتى اكد له بعض الشيعة العلوية من خلو المدينة من الانصار العباسـيين فدخل مكة في يوم عرفة • وبهذه الطريقة اخذ العلويون المدينة ومكة •

ولعل ابرز ما يلاحظه المؤرخ هو قلة حماس عامة الناس وعدم مبالاتهم واكتراثهم للاحداث التي تجري امام اعينهم من نزاع على السلطة بيـن العلويين والعباسيين • وربما كان سبب ذلك ملل الناس من الاضطراب السياسي ونزوعهم نحو الاستقرار مما اضعف ذلك الحماس الذي كنـا نعهده لاهل البيت سواء كانوا علويين او عباسيين ، بل ان الناس كانـوا مستعدين لطاعة الاقوى من الفرعين الهاشميين دون ان يضحوا بانفسـهم في سبيل اي منهم •

لقد سيطر الحسين بن الافطس على الحجاز بأسم ابي السرايا وازال كسوة الكعبة العباسية ووضع بدلها علمين من الحرير الاول ابيض والثاني اسود ارسلهما ابو السرايا وكتب عليهما « امر به الاصفر بن الاصفر ابـو السرايا داعية آل محمد لكسوة بيت الله الحرام وان يطرح عنه كسـوة

الظلمة من ولد العباس ليظهر من كسوتهم وكتب في سنة تسع وتسعين ومئة »[٢٤] . وقد اعقب ذلك عمليات مصادرة ونهب لممتلكات العباسيين واتباعهم في الحجاز التي رافقتها كثير من التجاوزات والاخطاء .

وحين وصلت اخبار فشل ثورة الكوفة ومقتل ابي السرايا كان على الحسين بن الافطس من اجل ان يبقى على سلطته في الحجاز تعيين شخصية علوية محترمة لزعامة الحركة معنوياً على الاقل ولم يكن هناك من يتمتع باحترام الناس وعطفهم في مكة اكثر من محمد بن جعفر الصادق الملقب (بالديباج) وكان شخصاً متواضعاً مسالماً وكبيراً في السن برز في رواية الحديث ولم يكن له ولع بالسياسة ولذلك تردد اول الامر بقبول البيعة ثم وافق واتخذ لقب امير المؤمنين في السادس من ربيع الثاني سنة ٢٠٠ هـ[٢٥] .

والمعروف ان محمد الديباج كان يعتبر من اولاد جعفر الصادق البارزين حيث انقسمت شيعة الصادق بعد وفاته الى جماعة ايدت اسماعيل وابنه محمد وجماعة ايدت موسى الكاظم واخرى ايدت عبدالله الافطح ورابعة ايدت محمد الديباج ولم تكن الصلة بينهم طيبة . ومهما يكن من امر فأن دور محمد الديباج في ثورة الحجاز بقى ثانوياً ومعنوياً وبقى قائد الحركة الحسين الافطس وكذلك ابنه على بن محمد الذى كان غير محمود السيرة مما سبب تذمراً واضطراباً بين الناس في مكة ، وعجل بنهاية الثورة وعودة الحجاز الى المأمون .

ثورة العلويين فى اليمن :

كان ابو السرايا قد ارسل الى اليمن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق ليستولي عليها بأسم الامام ابن طباطبا . واستطاع ابراهيم بن موسى ان يسيطر على اليمن بسهولة ذلك لان واليها العباسي اسحق بن موسى اخلى صنعاء مع جنده قبل وصول ابراهيم بن موسى بمجرد سماعه بنبأ اقتراب الثوار العلويين وبهذا قلد اسحق اجراءات خاله والي مكة الذى

انسحب منها ايضاً دون ان يشتبك مع العلويين الذين زاد عددهم بانضمام البدو اليهم[٢٦] .

وفي طريقة الى العراق قابل الجند العباسي بقيادة عيسى بن يزيد الجلودي ومساعدة ورقة لبن جميل القادمين الى مكة ، والظاهر ان اسحق بن موسى اقنع او اجبر على مصاحبة الجيش الى الحجاز وبعد معركة عنيفة في بئر ميمون اندحر الشيعة العلوية وطلبوا الامان حيث تدخل عدد من القرشيين بينهم قاضي مكة واقنعوا الجلودي بمنح الامان للمتمردين . والواقع فأننا لا نعلم شيئاً عن مصير الحسين الافطس اما الشيخ الطاعن في السن محمد بن جعفر فقد هرب وتعب من تجواله في البادية حتى حان وقت الحج فتقرب نحو مكة آملاً في استرجاع سلطته ولكنه لم يفلح فطلب الامان من الجلودي ورجاء بن ابي الضحاك والي مكة فأعطى الامان بشرط ان يقف في الكعبة وفي نفس المكان الذي اعلن نفسه امير المؤمنين ويتنازل عن البيعة ويعلن ولائه للمأمون وعهده بالا يعود الى طلب السلطة والعمل من اجلها ثانية . وقد ارسل الى العراق ومن هناك الى مرو[٢٧] .

اما في اليمن فنحن في الواقع لا نعرف الشيء الكثير عن حكم ابراهيم بن موسى وادارته لهذا الاقليم ، ولكن بعض الروايات تشير الى اتباعه سياسة مالية شديدة تضمنت مصادرة الممتلكات الخاصة وقتل المعارضين مما دفع خصومه الى تلقيبه « بالجزار »[٢٨] . ومهما يكن من امر فأن ابراهيم بسط سيطرته على الاقليم لاكثر من سنة .

ورغم ان السيطرة العلوية في العراق والحجاز قد انتهت فأن ابراهيم قاوم في اليمن ، بل اكثر من ذلك ارسل من يؤم الناس للحج بأسم الامام حيث عين لهذا الغرض احد ابناء عقيل بن ابي طالب المقيمين في اليمن . وفي طريق الحج كمن الطالبي امير قافلة الحج اليمانية لقافلة الحج العباسية التي كانت بقيادة اخى الخليفة ونهبها وسلب كسوة الكعبة . ولكن الجلودي قائد جند مكة لم يمهل الطالبي واتباعه بل حاصرهم واستعاد الاسلاب والكسوة وضربهم بالسياط بسبب فعلتهم[٢٩] .

ثم ارسل الحسن بن سهل والي العراق حمدويه بن علي بن عيسى بن ماهان اميراً على اليمن فأنتصر على ابراهيم بن موسى الذى انسحب نحو صعدة فلقي مقاومة ولكنه فتحها ونهبها وخرّب سد الخندق[٣٠] . وسار نحو مكة فواجهته قوة عباسية انتصر عليها واحتل مكة . وهكذا عادت مكة تحت سلطة العلويين . وفي هذه الفترة عين المأمون علي الرضا ولياً للعهد واعترف كذلك بشرعية ولاية ابراهيم لمكة بل اعطاه امارة الحج . ويشير المسعودي[٣١] ان اعطاء هذا الامتياز لعلوى كان يحدث لاول مرة في تاريخ الاسلام . ثم ان المأمون عين ابراهيم والياً على اليمن كذلك وأمر الجلودي بمساعدة ابراهيم لاسترداد اليمن من ابن ماهان ولكن الجلودي ماطل وتعذر ولم يذهب . واندحر ابراهيم امام ابن ماهان ورجع الى مكة . وعندئذ اعلن ابن ماهان استقلاله في اليمن عن السلطة المركزية استياءاً من سياسة المأمون الموالية للعلويين : في نفس الوقت الذى ثارت فيه العراق ضد هذه السياسة . وقد واجه ابن ماهان ثورتين قويتين الاولى علوية في تهامة دبرها اتباع ابراهيم والثانية ثورة قبلية في زبيد قامت بها قبيلتا عك واشعر ، وقد اضعف ذلك من سيطرته حيث استطاع الجلودي بالقضاء عليه وانهزم ابن ماهان بملابس النساء ولكنه قبض عليه في صنعاء . وحينئذ عين المأمون باقتراح من وزيره الفضل بن سهل محمد بن زياد المعروف بارائه المعارضة للعلويين سنة ٢٠٣هـ / سنة ٨١٩م[٣٢] اما ابراهيم بن موسى فقد ترك مكة الى العاصمة مرو حيث طلبه المأمون .

الخاتمة :

ان المتمعن في الثورات العلوية في عهد المأمون يدرك بان العلاقات العباسية ـ العلوية لم تتغير كثيرا عما كانت عليه قبل المأمون . ورغم ان المأمون كان ميالا للعلويين عطوفا ومدركا لقضيتهم ولكنه لن يسمح لهم بتجريده من السلطة او باقتطاع اجزاء من الدولة وحكمها بأنفسهم ، ولذلك كان يواجه حركاتهم الثورية بقوة السلاح ..

ورغم اختلاف المؤرخين في تصوير ثورة ابي السرايا حيث اعطاه الطبري

شخصية فارس طموح ومغامر بينما اسبغ عليه الاصفهاني صفة بطل شيعي علوي ، فاننا نقول بان ثورته كانت من اخطر الثورات العلوية في عهد المأمون • ذلك لان هذه الثورة كانت وليدة عوامل كثيرة وليس الولاء العلوي فقط • فهي كما بينا عبرت عن سخط اهل العراق ضد سياسة المأمون الخراسانية وسخط القبائل العربية في الكوفة خاصة والعراق عامة على سياسة الفضل بن سهل واخيه الفارسية واستبداده برأيه ثم ملل الناس من الفوضى وعدم الاستقرار السياسي • كل هذه العوامل انتجت ثورة ابي السرايا ولذلك وكما يؤكد البروفسور الايطالي كبريالي[٣٣] ويؤيده الاستاذ الدكتور الدوري « بان ثورة ابي السرايا كانت ثورة عربية عراقية صرفة وانها كانت حركة عامة لكل القوات العلوية في العراق وهذا يؤكد بان الشيعة كانت انئذ عربية وان الثورة هذه هي ثورة عربية ضد بني العباس »[٣٤] •

لقد كان ابو السرايا كغيره من الفرسان العرب في هذه الفترة مشبعا بالروح العربية ولذلك فكان يقول عن نفسه « انا اسد بني شيبان » ويسمي اعدائه « بالاعاجم » • على ان الصورة التي يعطيها له الاصفهاني في (المقاتل) صورة لاتخلو من مبالغة ونصيب من الخيال والمثالية الدينية خاصة وان الاصفهاني يعترف بانه بذل جهدا في اختيار الروايات عن هذه الثورة وتنقيح الصحيح من الموضوع •

وبعد كل ذلك فان ثورة ابي السرايا ستبقى كثورة المختار الثقفي لغزا في اهدافها وطبيعتها فمن الصعب على المؤرخ ان يحكم على هدف ابي السرايا ومدى ولائه لاهل البيت وطموحه للسلطة • ولكن هذه الثورة كانت دون شك تجمعا عاما للشيعة العلوية في العراق الطموح الثائر والمتذمر على المأمون الذي كاد ان يفقده مركزه الاول في الدولة • وقد وجدت هذه الحركة في ابي السرايا وقابلياته السياسية وقدرته العسكرية الفذة خير زعيم وممثل الذي كان موته نذيرا بموت المعارضة العلوية في الاقاليم الاخرى حيث لم يخلفه من يتمتع بمثل حنكته وبراعته •

وقبل ان نختم كلامنا يجب ان نسجل للمأمون مرونته واعتداله في معاملته للثوار العلويين فنحن لايمكن أن نقارنه بالمنصور او الرشيد من هذه الناحية حيث تميزت سياستهما بالشدة والقتل والتهجير والاضطهاد وردود فعل عنيفة تجاه الثوار العلويين • ولعل ذلك يعود الى ان الدولة كانت في بدايتها ودور تأسيسها على عهد المنصور اما في عهد المأمون فقد تبدل الحال وتثبتت الاركان • ولسنا هنا في معرض تبرير سياسة المنصور ولكننا نقول بان اعتدال المأمون وتساهله مع العلويين يظهر ليس في معاملته للثوار فحسب بل في بيعته لعلي الرضا بولاية العهد تلك البيعة التي حدثت في يوم الاثنين السابع من رمضان سنة ٢٠١ هـ •

على ان الكلام عن البيعة وطبيعتها لايدخل في بحثنا هذا •• بل سيكون له تحقيق خاص به في مجال آخر •

الحواشـــي :ـ

(١) انظر عن طبيعة الثورة العباسية ... الدكتور فاروق عمر ، **الخلافة العباسية** (بالانكليزية) ١٣٢ هـ ـ ١٧٠ هـ بغداد ١٩٦٩
الدكتور فاروق عمر ، **طبيعة الدعوة العباسية** ٩٨ هـ ـ ١٣٢ هـ بيروت ١٩٧٠ .

(٢) الدكتور فاروق عمر ، **العباسيون الاوائل** الجزء الاول ، بيروت ١٩٧٠ . الفصل الثالث .
الدكتور فاروق عمر ، الرسائل المتبادلة بين المنصور ومحمد النفس الزكية ، **مجلة العرب** . الرياض ، ١٩٧٠ .

(٣) الطبري **تاريخ الرسل** .. ، طبعة دار المعارف ١٩٦٦ جـ ٨ ـ ص ٥٢٨ فيما بعد .

(٤) OP. cit. انظر كذلك ،
F. Gabrieli, al - Ma'mun..... Leipzig, 1929

(٥) عن هذه الثورة انظر ... ولها وزن **الخوارج والشيعة** ترجمة عبدالرحمن بدوى مصر ١٩٥٨ .
محمد جابر الحيني **حركات الشيعة المتطرفين** القاهرة ١٩٦٧ .
S. Moscati, Per Una Storia dela Antica Si'a R. S. O. 1955.
M. Watt Shi'ism under the Umayyads J. R. A. S, 1960.
W. Ivanaw Early shi'ite Movements J. B. R. A. S., 17, 1941.
K. A. Fariq-The Story of an Arob diplomat, 1966-,

علي حسني الخربوطلي ، **المختار الثقفي** (سلسلة اعلام العرب) ، القاهرة .

(٦) الاصفهاني ، **مقاتل الطالبيين** ١٧٧ فما بعد .

(٧) يقول الاصفهاني عن الجزيرة ... « وهذا البلد جميعا اعداء لآل أبي طالب » .

(٨) انظر الطبرى III ص ٩٧٦ ... ابن الاثير ، **الكامل في التاريخ** جـ ٦ ص ٢١٢ . انظر كذلك نعيمة الشكرجي ، **ثورة ابي السرايا** ، رسالة ماجستير ، بغداد ، ١٩٧١ .

(٩) لا يمكن التأكد الى اى مدى كان مخلصا في ميوله العلوية الا ان الاصفهاني يشير الى انه « كان علوى الرأى ذا مذهب في التشيع » ، **مقاتل** .. ص ١٧٨ .

(١٠) المصدر السابق ص ١٧٩ ـ ١٨٠ ـ الطبرى III ، ص ٩٧٦ ،

٩٨٦ · الازدى ، **تاريخ الموصل** ص ٣٣٤ خليفة بن خياط ، **تاريخ** ، جـ ٢ ص ٥٠٦ ·

F. Gabrieli, al - Ma'mun E Gli Alidi Lepizig, 1929, P. 14.

(١١) يقول الاصفهاني « خرج مع ابي السرايا اكثر اهل الكوفة الا من لا فضل له ولا غنى ·· » **مقاتل** ص١٨٠ · انظر كذلك الطبرى III ص ٩٧٦ فما بعد ··· **العيون والحدائق** ص ٣٤٥ فما بعد ·

(١٢) انظر **مقاتل الطالبيين** ص ١٨٣ ، حيث يشير اليه اثناء الحوادث « بأنه عليل يجود بنفسه » وانه اختار خليفته قائلا « فان رضيتم به فهو الرضى والا فاختاروا لانفسكم » · انظر كذلك الازدى ص ٣٣٥

(١٣) الطبرى III ، ٩٧٩ ·· **مقاتل** ·· ص ١٨٤ ·

(١٤) عن هذه الاحداث انظر الطبرى ص ٩٨٠ فما بعد · ابن الاثير جـ ٦ ص ٢١٣ فما بعد · **العيون والحدائق** ص ٣٤٥ فما بعد ·· **مقاتل** ·· ص ١٨٥ فيما بعد · — جبريالي ، **المأمون والعلويين** ، ليبزك ١٩٢٩ (بالايطالية) ·

(١٥) قال هرثمة قولته المشهورة « نوطىء نحن الخلافة ونمهد لهم اكنافها ثم يستبدون بالامور ويستأثرون بالناس علينا فاذا انفتق عليهم فتق بسوء تدبيرهم واضاعتهم الامور ارادوا أن يصلحوه بنا لا والله ولا كرامة حتى يعرف أمير المؤمنين سوء اثارهم وقبح افعالهم · »

(١٦) قائلا « فعل الله بالحسن بن سهل وصنع فانه عرض هذه الدولة للذهاب وافسد ما صلح منها » · انظر **مقاتل** ص ١٨٤ — ١٨٥ · البلعمي ، **تاريخ الطبرى** جـ ٤ ص ٥٠٠ ·

(١٧) الطبرى ص ٩٨١ — ابن الاثير جـ٦ ص ٢١٥ · **العيون والحدائق** ص ٣٤٧ · خليفة بن خياط **تاريخ** جـ٢ ص ٥٠٨ ·

(١٨) **مقاتل** ·· ص ١٨٨ ·

(١٩) على ان جماعة قليلة من الكوفيين استمرت مخلصة له حيث يشير الاصفهاني « فقام اليه جماعة من اهل الكوفة وقالوا ما انصفتنا من قولك ما اقدمت واحجمنا ولا كررت وفررنا ولا وفيت وغدرنا ولقد صبرنا تحت ركابك وثبتنا مع لوائك حتى افنتنا الوقائع واحناحينا ما بعد فعلنا الا الموت فأمدد يدك نبايعك على الموت فوالله لانرجع حتى يفتح الله علينا او يقضي قضاءه فاعرض عنهم ··· » ·

(٢٠) البلعمي ، **المصدر السابق** ص ٥٠٢ — اليعقوبي جـ٢ ص ٥٤٣ — حيث قال المأمون له « لا خوف عليك لعن الله من غرك » · قارن **مقاتل** ··· ، ص ١٩٠ ·

(٢١) الطبرى ، طبعة دار المعارف ، ١٩٦٦ ، جـ٨ ص ٥٣٥ ·

(٢٢) الطبرى ، طبعة ليدن ، III ص ٨٦٠ – ٨٦٤ – ابن الاثير **الكامل في التاريخ** جـ٦ ص ٢١٤ ، خليفة بن خياط ، **تاريخ** جـ ٢ ص ٥٠٧ .

(٢٣) الطبرى III ص ٩٨٢ فما بعد

(٢٤) **المصدر** السابق ، ص ٩٨٨ .

(٢٥) **مقاتل** .. ص ١٨٥ – ١٨٦ . الطبري III ص ٩٩٠ – المسعودى **مروج** جـ٧ ص ٥٧ – ابن الاثير جـ٦ ص ٢١٩ .

(٢٦) الطبرى III ص ٩٨٧ فما بعد – الفاسي ، **تاريخ مدينة مكه** ، ص ١٨٩ .

(٢٧) **مقاتل** .. ص ١٨٦ – الطبرى III ص ٩٩٢ – ٩٩٣ . **العيون والحدائق** ص ٣٤٨ .

(٢٨) دائرة المعارف الاسلامية مادة (ابو السرايا) – الطبرى III ص ٩٨٨ . ادريس .
كنز الاخيار فى معرفة السير والاخبار (مخطوطة في المتحف البريطاني لندن) رقم or 4581 . والمعروف ان المؤلف شيعي فى ميوله . – حسين بن احمد العرشي ، **بلوغ المرام** ، القاهرة ١٩٣٩ .

(٢٩) الطبرى ، III ص ٩٩٥ – ٩٩٦ . – ابن الديبع ، **قرة العيون** ، مخطوطة فى المتحف البريطانى ، حيث يشير المؤلف انه اعتمد على كتاب المسجد المسبوك للخزرجي or. 3022 او or 25, 111

(٣٠) اليعقوبي ، **تاريخ** جـ٢ ص ٥٤٤ – ادريس ، **مخطوطة كنز الاخيار** . – الهمداني **الاكليل** ، جـ٨ ص ١١٥ . – الخزرجي ، **الكفاية والاتمام** ... ، مخطوطة فى المتحف البريطاني ، or. 6941

(٣١) المسعودي ، **مروج** .. ، جـ٩ ص ٦٩ .

(٣٢) انظر .. Geddes, The Ya'farid dynasty in the Yemen, Ph. D. Thesis London Univesity. – H. C. Kay, Yaman, its early Muslim Histary, London 1892.

(٣٣) F. Gabrieli al - Ma'mun E Gli Alidi, Leipziq. 29 P. 24.

(٣٤) الدكتور عبدالعزيز الدوري ، **العصر العباسي الاول** ، بغداد ١٩٤٤ ص ٢٠٥ .